

هذا مَثَلٌ تُضْرِبُهُ العَرَبُ لِكُلِّ مَنْ كَانَ ذَا رِيَاةٍ، أَوْ مَكَانَةٍ؛ فَيُرُونَ أَنَّهُ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبِيَّةِ، بِحَيْثُ يَصِيبُهُ مِنَ الْإِسَاءَةِ، وَسُوءِ الظَّنِّ مَا يَصِيبُهُ؛ لِأَنَّ مَكَانَتَهُ تُفَرِّضُ عَلَيْهِ أَنْ يَعامِلَ أَناساً ذَوِي طَباعِ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَمْزِجَةً مُتبايِنَةً؛ فَيُنتِجُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ أذىً، وَعَنْتُ كَحَالِ الرَّأسِ مِنَ البَدَنِ؛ فَإِنَّ الرَّأسَ غَالِباً ما يَشْتَكِي الصِّداعَ لِأَدْنَى عارِضٍ يَصِيبُ الجِسمَ.

ولكن الذي يُوطن نفسه على ذلك يصبح ذلك الصداع جزءاً لا يتجزأ من حياته، فلا يبالي به، ولا يتشكى، أو يتبرم منه. وتلك منزلة تحتاج إلى تدريب، ومراورة للنفس. ولا يستغني عن ذلك التوطين مَنْ كان أباً، أو معلماً، أو مديراً، أو قاضياً، أو رئيساً؛ لأن كل أولئك محتاج إلى توطين نفسه على ملاقة الأذى الذي لا بد منه لكل من اتصف بوصف الرأس.